الفصـــل الـرابــع

حيـاة البـرزخ

* سؤال القبر .
* القبر ووحشته .
* ضغطة القبر .
* صور من عذاب القبر .
* العمل الصالح ينفع صاحبه فى القبر .

سؤال القبر

يجب أن يؤمن المسلم بكل ما أخبر به الرسول ﷺ ومن ذلك فتنة القبر وسؤال الملكين للإنسان – فى القبر – عن ربه ودينه ونبيه، ومن الأحاديث التى وردت فى ذلك:

الحديث الأول: عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ. فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً»، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» (١).

الحديث الثانى: عن البراء بن عازب – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «إذا أقعد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» قال البخارى – رحمه الله – حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة بهذا، وزاد «يثبت الله الذين آمنوا» نزلت فى عذاب القبر (٢).

الحديث الثالث: عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: «اطلع النبى ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقاً. فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون» (٣).

---

(١) رواه البخارى: كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٤).

(٢) رواه البخارى: كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر، حديث رقم (١٣٦٩).

(٣) رواه البخارى: كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٠) والمقصود بالقليب قليب بدر الذى وضع فيه القتلى من المشركين.

الحديث الرابع: عن زيد بن ثابت قال: بينما رسول الله ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلته ونحن معه إذ جادت به فكادت تلقيه، فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل: أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا فى الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، قال تعوذوا من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال» (١).

والمقصود بفتنة القبر ما يكون فى الحياة البرزخية التى قال الله فيها: ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

فكل من مات مستحقاً للعذاب فله نصيب منه قبر أو لم يقبر، فلو أكلته النار، أو السباع، أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور.

ويجب على المسلم كذلك أن يؤمن بعذاب القبر ونعيمه لأن دلائل الكتاب والسنة تظاهرت على هذا الأمر: ومن ذلك:

أولاً: قوله تعالى فى شأن آل فرعون: ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦].

فذكر الله تعالى نوعين من العذاب، وعطف بينهما بحرف الواو الذى يفيد المغايرة، فدل ذلك على أن العذاب الأول غير العذاب الثانى فكان الأول عذاب البرزخ والثانى عذاب النار بعد قيام الساعة.

---

(١) رواه مسلم، (١٧/ ٢٠٢) الجنة، ورواه احمد فى المسند (٣/ ١٠٣) باختصار.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [السجدة: ٢١] فقد احتج بهذه الآية ابن عباس - رضى الله عنهما - على عذاب القبر.

إذ أن «من» هنا للتبعيض، أى أن الله تعالى يذيقهم جزءاً من العذاب الأدنى فى الدنيا وبقى لهم باقى العذاب الأدنى فى القبر قبل العذاب الأكبر يوم تقوم الساعة.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الطور: ٤٧].

يقول شارح العقيدة الطحاوية: «وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره فى الدنيا، وأن يراد به عذابهم فى البرزخ، وهو أظهر لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب فى الدنيا أو المراد أعم من ذلك» (١).

رابعاً: قوله تعالى: ﴿**مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ [نوح: ٢٥].

فقد فسرها البعض بأنها فى عذاب القبر الذى لحقهم فور إغراقهم.

خامساً: قول الرسول ﷺ فى حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: مر النبى ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة»(٢).

سادساً: حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع من عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» (٣).

سابعاً: حديث عائشة - رضى الله عنها - أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشةُ

---

(١) شرح الطحاوية: ص ٣٣٠: ص٣٣١ طبعة مكتبة دار التراث.

(٢) رواه البخارى: كتاب الجنائز: باب (٨١) الجريدة على القبر، رقم (١٣٦١).

(٣) رواه البخارى: كتاب الجنائز: باب (٨٧) التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧).

رسولَ الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: نعم، عذاب القبر. قالت عائشة – رضى الله عنها – : فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر» زاد غندر: عذاب القبر حق» (١).

ثامناً: حديث أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال: دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً يكثرون، فقال: أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى – يعنى الموت – فأكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت. فإنه لم يأت علي القبر يوم إلا تكلم فيه. فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود. فإذا دفن العبد المؤمن. قال له القبر: مرحباً وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلىَّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إلىَّ فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً. أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلىَّ. فإذا وليتك اليوم وصرت إلىَّ فسترى صنيعى بك. قال: فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه» قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض. قال: ويقيض الله له تسعين تنيناً أو تسعة وتسعين لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فتنهشه حتى يفضى به إلى الحساب» قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (٢).

تاسعاً: حديث البراء بن عازب – رضى الله عنه – : قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر، ولما يُلحد جلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً» ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من

---

(١) رواه البخارى: كتاب الجنائز: باب (٨٦) ما جاء فى عذاب القبر (١٣٧٢).

(٢) أورده القرطبى فى التذكرة وعزاه للترمذى وقال: قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، انظر التذكرة ص ١٠٨

السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوطها، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحه مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء التى تليها حتى ينتهى إلى السماء السابعة، فيقول الله – عز وجل –: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولون له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله – تعالى – فآمنت به وصدقت، فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له فى قبره، مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق فى جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح

الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان باقبح أسمائه التى كان يسمى فى الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

[الأعراف: ٤٠]

فيقول الله - عز وجل - اكتبوا كتابه فى سجين، فى الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحاً ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاها لا أدرى، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاها لا أدرى، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فلا يهتدى لاسمه فيقال: محمد. فيقول: هاها لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى، فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة.

زاد فى رواية فى قصة المؤمن: «حتى إذا أخرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء، وليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم».

وزاد فى قصة الكافر «ثم يُقيض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه فيصير تراباً، ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شىء إلا الثقلان - قال البراء: ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فراش من نار»[1].

---

(١) رواه أبو داود (٣١٩٦)، كتاب الجنائز (مختصراً)، ورواه الحاكم (١/٣٧، ٣٨) فى الإيمان، وقال صحيح على شرط الشيخين، ورواه أحمد (٤/٢٨٧، ٢٨٨)، وصححه الألبانى.

القبر ووحشته

يعيش الإنسان في هذه الدنيا – إلا من رحم ربى – يلهو ويلعب، يأكل ويشرب يغنى ويطرب، يفرح ويمرح، يأكل اللذيذ من الطعام، ويلبس اللين من اللباس، ويفترش الوثير من الفراش، ثم إذ به يجد نفسه بين لحظة وأخرى وقد وضع فى حجرة ضيقة، مظلمة، موحشة، لا مؤنس يؤنس غربته، ولا جليس يذهب وحشته، وصدق الشافعى حين قال:

تا الله لو عاش الفتى فى دهره
ألفاً من الأعوام مالك أمره
متنعماً فيها بكا نفيسة
متلذذاً فيها بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيها مرة
كلا ولا ترد الهموم ببابه
ما كان هذا كله فى أن يفى
بمبيت أول ليلة فى قبره

وكما جاء فى الحديث «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»[1].

وكان أبو ذر يقول لأصحابه: ألا أخبركم بيوم فقرى؟ يوم أوضع فى قبرى.

ويقول أبو الدرداء – رضى الله عنه – أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث: أضحكنى مؤمل دنيا والموت طلبه، وغافل ليس بمغفول منه، وضاحك بملء فيه لا يدرى أأرضى الله أم أسخطه؟ وأبكانى فراق الأحبة، محمد ﷺ وحزبه، وأحزننى هول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدى الله يوم تبدو السريرة علانية ثم لا يدرى إلى الجنة أم إلى النار.

---

(١) رواه الترمذى وحسنه، ورواه ابن ماجة (٤٢٦٧) ورواه الحاكم وصححه بإسناده.

وكان عثمان بن عفان – رضى الله عنه – إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه.

وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبراً فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضجع فيه ومكث ساعة ثم قال: «رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت» ثم يقول يا ربيع: قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع.

ويقول سفيان الثورى: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من النار.

وروى عن رجاء بن حيوة قال: قال لى عمر بن عبد العزيز فى مرضه: كن فيمن يغسلنى ويكفننى ويدخل قبرى فإذا وضعونى فى لحدى فحل العقدة ثم انظر فى وجهى فإنى قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا وضعته فى لحده حللت العقدة ثم نظرت إلى وجهه فإذا وجهه مسود فى غير القبلة. قال رجاء: فلما مات أمير المؤمنين فكنت فيمن غسله وكفنه ودخل فى قبره فلما حللت العقدة نظرت إلى وجهه فإذا وجهه كالقراطيس فى القبلة.

ضغطة القبر :

عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه»[1].

وزاد البيهقى فى كتاب عذاب القبر: يعنى سعد بن معاذ.

* * *

(١) رواه النسائى: كتاب الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته.

صور من عذاب القبر

روى البخارى بسنده عن سمرة بن جندب قال: كان النبى ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله. فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا قال: لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى، فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد -- قال بعض أصحابنا عن موسى: كلوب من حديد يدخله فى شدقه – حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة. فقلت: من هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، على وسط النهر ورجل بين يديه حجارة – قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حازم، وعلى شط النهر رجل – فأقبل الرجل الذى فى النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان. فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفى أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بى فى الشجرة وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجانى منها فصعدا بى إلى الشجر فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب. قلت: طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما

رأيت قالا: نعم. أما الذى رأيته يُشقُ شدقه فكذاب يُحدِّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة. والذى رأيته يُشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة. والذى رأيته فى الثقب فهم الزناة، والذى رأيته فى النهر آكلو الربا. والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله أولاد الناس والذى يوقد النار مالك خازن النار. والدار الأولى التى دخلت دار عامة المؤمنين. وأما هذه الدار فدار الشهداء. وأنا جبريل، وهذا ميكائيل. فارفع رأسك. فرفعت رأسى فإذا فوقى مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك. قلت: دعانى أدخل منزلى. قالا: إنه بقى لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك»[1].

ما يؤخذ من الحديث: يؤخذ من هذا الحديث فوائد جمة منها:

١ – اهتمام الرسول ﷺ بشأن الرؤيا؛ وأنها من الأنبياء وحى.

٢ – شدة عقوبة الكذاب – الذى يتعمد الكذب – لما لذلك من مفاسد عظيمة.

٣ – شدة عقوبة حامل القرآن الذى يهمله تلاوة، ويهجره عملاً، وإنما شُدِّد عليه أكثر من غيره لأن القرآن صار حجة عليه.

٤ – التشديد في عقوبة الزنا، ولما كانوا عراة فى الدنيا من الحياء من الله، فهم كذلك عراة فى العذاب.

٥ – عقوبة آكل الربا، قال الحافظ فى الفتح: قال ابن هبيرة «إنما عوقب آكل الربا بسباحته فى النهر الأحمر وإلقامه الحجارة لأن أصل الزنا يجرى فى الذهب والذهب أحمر، وأما إلقام الملك له الحجر فإنه إشارة إلى أنه لا يغنى عنه شيئاً وكذلك الربا فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد والله من ورائه محقه»[2].

٦ – مناسبة العقاب لكل معصية، قال الحافظ فى الفتح: قال الكرمانى:

---

(١) رواه البخارى: كتاب الجنائز، باب (٩٣) حديث رقم (١٣٨٦).

(٢) فتح البارى جـ ١٢ ص ٤٦٥

مناسبة العقوبات المذكورة فيه للجنايات ظاهرة إلا الزناة ففيها خفاء، وبيانه أن العرى فضيحة كالزنا، والزانى من شأنه طلب الخلوة فناسب التنور، ثم هو خائف حذر حال الفعل كأن تحته النار، وقال أيضاً: الحكمة فى الاقتصار على من ذكر من العصاة دون غيرهم أن العقوبة تتعلق بالقول أو الفعل فالأول على وجود ما لا ينبغى منه أن يقال، والثانى إما بدنى وإما مالى فذكر لكل منهم مثال ينبه به على من عداه، كما نبه بمن ذكر من أهل الثواب وأنهم أربع درجات. درجات النبى ﷺ ودرجات الأمة أعلاها الشهداء، وثانيها من بلغ، وثالثها من كان دون البلوغ»[1].

شبهة والرد عليها :

قد يقول قائل: إذا كان كل هذه الصور من العذاب - وغيرها - كائنة بالفعل فلماذا لا نرى شيئاً عندما نفتح القبر، فلا نرى ملائكة تعذب، ولا نرى ناراً؟!

وهذه الشبهة لا يثيرها مؤمن جاد لأنه يؤمن بكل ما أخبر به الله ورسوله ومن ذلك الإيمان بالغيب، أما أولئك الذين فى قلوبهم زيغ فهم يجنحون إلى المادة، ولا يؤمنون إلا بالمحسوس.

ولكن ينبغى أن نعلم أولاً أن العقل السوى لا يستحيل وقوع العذاب والنعيم في القبر إذ ما الذى يجعل ذلك مستحيلاً؟ ولكن العقل لا يدرك طبيعة هذا العذاب وهذا النعيم إذ أن ذلك ربما يكون فوق قدرته العقلية، وليس معنى أن العقل لا يدرك شيئاً أنه غير موجود، وكم من الأمور التى كشف عنها العلم وأصبحت حقيقة ملموسة وقد كان العقل قديماً لا يتصور وقوعها.

فالحياة البرزخية لها طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة الحياة الدنيا، فالحياة فيها تختلف عن الحياة الدنيا، والنار فيها تختلف عن نار الدنيا.

* * *

(١) فتح البارى جـ ١٢ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧

العمل الصالح ينفع صاحبه فى القبر :

إذا وضع الميت فى قبره، قال له القبر – بلسان حاله – يا ابن آدم : أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك؟ أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك؟ أعجلت المنية أم المنية عاجلتك؟ يا ابن آدم : لقد خرجت من التراب بغير ذنب وعدت إلى التراب بكل ذنب . . اعلم يا ابن آدم أن لابد لك من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وأنت ميت إن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً خذلك اجعله صالحاً فإنه عملك .

ويقول ابن قدامة المقدسى – رحمه الله – وقال كعب : إذا وضع الرجل الصالح فى قبره، احتوشته أعماله الصالحة : الصلاة والصيام والحج، والجهاد، والصدقة وقال : وتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة : إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه، فقد أطال بى القيام لله – عز وجل – قال : فيأتونه من قبل رأسه، فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أطال بى الصيام . قال : فيأتونه من قبل جسده، فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه، فقد أنصب بى نفسه، وأتعب بدنه، وحج وجاهد لله عز وجل، لا سبيل لكم عليه . فيأتونه من قبل يديه، فتقول الصدقة : كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وضعت فى يد الله ابتغاء وجهه، فلا سبيل لكم عليه . قال : فيقال له : هنيئاً طبت حياً، وطبت ميتاً . قال : وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشاً فى الجمة ودثاراً من الجنة، فيفسح له فى قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة يستضىء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره »[1] .

* * *

(١) مختصر منهاج القاصدين ص٣٩٩